الفصل 10
طوبى لصانعي السلام

لا يمكنك أن تتصور بعد كل هذا النجاح الذي حققناه في ضمان تعاون العراق مع سياسة مكافحة الإرهاب، أنَّني أصبحت أعاني إرهاقًا مزمنًا.

وبالرغم من أنَّ البلاد كانت في حالة حداد على ضحايا الحادي عشر من سبتمبر، فإنَّ انهماكي في التحقيقات لم يترك لي وقتًا للحزن، هذا لا يعني أنَّني لم أكن أتألم مثل أي إنسان آخر، وإنَّما كنت أبلع ألمي.

في بداية شهر أكتوبر عام 2001م بدأت أشعر بنوبات خوف كلما هممت بعبور الشارع، كان قلبي يخفق بقوة، فأشعر بالإغماء والدوار، كانت قدماي ترتجفان، فأكاد أسقط على الرصيف، كنت أقاوم فكرة الإمساك بأذرع الغرباء لأتمكن من عبور الشارع، كدت أن أموت مرَّةً وقت الغداء في شارع كنكتيكت وسط واشنطن.

عانيت أيضًا أرقًا شديدًا؛ إذ كنت أستيقظ الساعة الثالثة صباحًا، فأجلس على الأريكة، وأظل أُدخِّن حتى أشعر بالنعاس وأنام (أقلعت عن التدخين قبل سنوات). وفي مرَّات عدَّة كنت أرى وميض آلة تصوير في المتنزه المجاور، فأسأل نفسي عما إذا كان أحد جيراني قد استيقظ مبكرًا ليصورني وأنا في قمَّة ضعفي، أو كان المخبرون يبحثون عن السيدة التي حذَّرت من وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر، لقد بلغت حالة الشك والخوف عندي مَبْلغًا لم أعهده من

قبلُ. وفي الأحوال كلها، فمن المؤكد أنَّ شخصًا ما قد صورني مرَّات عدَّة في ساعة متأخرة من ليالي شهري نوفمبر وديسمبر عام 2001م، وهذا أيضًا حقيقة، وقد رأيته بأم عيني.

لقد كنت أُؤنِّب نفسي كثيرًا لفشلنا في وقف هجمات الحادي عشر من سبتمبر، كنت أُعذِّب نفسي، وأسألها: ألم نكن قادرين على فعل أكثر من ذلك؟ لكنَّ هذا كله لم يمنعني من قضاء ليالٍ طويلة وأنا أُفكِّر في الاحتمالات جميعًا:

- ماذا كان سيحدث لو لم أغادر بيت آندرو كارد في ذلك اليوم من منتصف شهر أغسطس؟
- ماذا كان سيحدث لو أنَّني انتظرت ساعة أخرى؟
- لماذا لم أعد إلى بيته مرَّةً أخرى لأترك له رسالة بشكوكي؟

كنت أرى أنَّ تحقيقات الحادي عشر من سبتمبر هي مسؤوليتي الشخصية، فقد كنت أذهب إلى مكتب الدكتور فيوز وقدماي لا تقويان على حملي، وأنا أرتجف، لكنَّني مع ذلك لم أتخلَّ عن مسؤوليتي، لقد أصبحت مدمنةً على العيش في خطر، كانت هذه طبيعتي، كنت أزور السفارة العراقية في كل مرَّة تقصف فيها الولايات المتحدة العراق، وكان الدبلوماسيون يثنون على هدوئي في أوقات الأزمات، لم أكن أخاف في المواقف الصعبة، أو أتراجع في المواجهات.

أما الشك والارتياب الشديد فكان ملازمًا للمهنة، كنت أشعر بتوتر شديد من المراقبة التي أتعرَّض لها في أثناء التحقيق في أي قضية إرهابية، وكانت الاستخبارات بحاجة إلى معرفة حقيقة ما يجري، وكنت أول مَن يعرف الحقائق؛ نظرًا إلى علاقاتي الخاصة بالحكومات العربية المارقة؛ لذلك كنت أتعرَّض لمراقبة شديدة.

فمثلًا، في نهاية تحقيقات لوكيربي، وفي الليلة التي سَلَّمَتْ فيها ليبيا اثنين من مواطنيها لمحاكمتهما، نزلت إلى الدور الأرضي في بيتي، فوجدت عشرة أسلاك تسجيل صوتي متدلية من السقف بعدما أزيل الكساء، ورأيت أنَّ الاسلاك تمتد إلى غرف المنزل جميعها، أحضرت كرسيًّا، ثم قطعت أجهزة التسجيل، فشعرت بشيء من الارتياح.

وبالرغم من أنَّ هذه المراقبة كانت مشروعةً في مثل هذه الظروف، فإنَّها كانت تزيد من قلقي وتوتري، لم يكن هذا جنون شك، كما اتهمني بعضهم بذلك، ولكنَّه كان يثير قلقي؛ لأنَّ تلك الرقابة كانت تصبح عدوانيةً جدًّا، وتنتهك خصوصيتي. وفي بعض الأحيان كان فريق كامل يتابع تحركاتي، وكانت سيارات سوداء تطاردني على طول الطريق السريع إلى نيويورك، تعلمت مع مرور الوقت كيف أعرفهم، ومع ذلك فإنَّ هذا لم يجعلهم أعداء، كان هذا جزءًا من الثقافة، لكنَّها ثقافة مراقبة مقلقة.

بعد الحادي عشر من سبتمبر كانوا يلاحقونني إلى داخل المطاعم وأنا أتناول طعام الغداء مع الدبلوماسيين العرب في نيويورك، وكانوا يحجزون غرفًا مجاورةً لغرفة الفندق التي أجتمع فيها بالدبلوماسيين العراقيين؛ لمراقبة مباحثاتنا المتعلقة باستئناف عملية التفتيش عن الأسلحة، كانوا أيضًا يُركِّبون أجهزة تنصت في الغرف التي يمكن أن نستخدمها مرَّةً أخرى، ويراقبون هاتفي دائمًا، وكانوا يقفون على أرصفة الشوارع حاملين آلات التصوير.

حدث ذلك في واشنطن ونيويورك مع راني إسماعيل هادي علي من ماليزيا، ومع السفير الليبي عيسى بابا وآخرين؛ إذ كان أحدهم يظهر فجأةً، ويحُملِق في وجهي قائلًا لي: نحن هنا، ثم يختفي مثل شبح.

في أواخر نوفمبر، أو أوائل ديسمبر عام 2001م، رأيت ريتشارد آخر مرَّة كما تَبيَّن بعد ذلك، ولكن لم يخطر هذا ببالي عصر ذلك اليوم.

كنت أحكي له بفرح عن زيارتي الناجحة إلى بغداد مع الوفد العراقي، وعن حماس العراق لعملية السلام، وسألته عن التفاصيل التي سأذكرها في رسالتي إلى آندرو كارد يوم الثاني من ديسمبر بخصوص تفاصيل هذه العملية.

رد ريتشارد قائلًا: «لا عليكِ، لا تقلقي؛ فنحن نعرف أين تكونين تحديدًا، ونعرف أيضًا كل شيء تقومين به، نحن نعرف ذلك لحظة حدوثه، وسواء أبعثت لنا رسائلك إلى آندرو كارد أم لا، فإنَّنا سنعرف ما فيها على أي حال».

ثم قال شيئًا وجدته غريبًا: «حتى وإن لم نستطع التواصل معك مباشرةً يا سوزان لأي سبب، فعليك أن تثقي بأنَّني كنت دائمًا على معرفة تامة بهذا المشروع، وأنا أتوقع منك أن تكمليه، هل تفهمين؟».

عندما أستعيد شريط الأحداث أعتقد أنَّ الدكتور فيوز كان - في ذلك الوقت- على علم بالخطط الأولية التي أعدَّتها الإدارة الأمريكية للحرب على العراق، وهذا هو ما لم يَبُحْ لي به قط، لقد سبَّب ذلك لي حيرةً وإرباكًا، لكنَّني لا ألوم الدكتور فيوز؛ فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كان العملاء السريون في ذروة نشاطهم، وكنت أشعر بالأمان كلما ظهروا في نيويورك؛ إذ كان ذلك يعني أنَّ رسائلي إلى الدكتور فيوز بخصوص مواعيد الاجتماعات وأمكنتها كانت تنقل إلى أعلى المستويات في الاستخبارات. كانت الرسائل تتعلق بتعاون العراق مع سياسة مكافحة الإرهاب، واستئناف عملية التفتيش عن الأسلحة، كان ذلك أهم حدث في المدينة، لذلك لم يكن مستغربًا أن تُتابع الاستخبارات تحركاتي من كثب.

كان حزني مختلفًا وخاصًّا؛ فبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر كنت أسأل نفسي دائمًا: ماذا لو؟ وكنت أستعيد أحاديثي مع الدكتور فيوز في صيف عام 2001م، كنت دائمًا أتذكَّر يوم جلسة الكونغرس لمناقشة ترشيح روبرت مويلز مديرًا لمكتب التحقيقات الفيدرالي، عندما طلب إليَّ الدكتور فيوز أن لا أعود إلى نيويورك.

وهذا ما يجعلني أتذكَّر كل شيء بوضوح حتى هذا اليوم، أردت أن أكون مستعدةً لأقول للكونغرس كل شيء قبل الهجوم؛ لأنَّني لم أكن أعتقد قط أنَّ الكونغرس - الذي يضم قيادات الشعب الأمريكي- لن يرغب في معرفة فحوى تحذيراتنا بدقة وتفصيل؛ لذلك استعدت - مرارًا وتكرارًا- محادثتي مع كبير موظفي مكتب النائب العام جون آشكروفت يوم السابع أو الثامن من شهر أغسطس.

وتذكَّرت يوم أنهيت المكالمة معه، ثم اتصلت مباشرةً - بعد إلحاح منه- بمكتب مكافحة الإرهاب، لقد أردت أن أكون جاهزةً تمامًا، واتخذت قرارًا بأن لا أعتمد على تقارير الآخرين، ولا حتى تقرير لجنة التحقيق في هجمات الحادي عشر من سبتمبر؛ حتى لا يُؤثِّر أي مصدر خارجي في وصفي الأصيل للتحذيرات.

في مطلع شهر نوفمبر أقلق وحدتي في منتصف الليل توتر جديد: لماذا لا يريد أحد الاعتراف بتحذيراتنا السابقة للهجوم؟

لقد صدمتني هذه الفكرة، لم يكن لديَّ وَهْم بأنَّني كنت الوحيدة التي أعطت هذه التحذيرات؛ لأنَّ آخرين فعلوا ذلك أيضًا.

بدأ الإرهاق يقضي عليَّ، إذ يوجد شيء غير طبيعي؛ فقد خطر ببالي أنَّ شخصًا ما يتلاعب بسجلات الاستخبارات، ولكنَّني كنت مرهقةً جدًّا، حتى إنَّني لم أحاول معرفة السبب.

كان عليَّ توجيه طاقاتي كلها صوب بغداد، ومواجهة جهات في الكونغرس والبيت الأبيض وسياسيين في واشنطن، يدقون طبول الحرب على العراق في شاشات محطات التلفزة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

ظل هوفين والدكتور فيوز يضغطان عليَّ بشدة للتوصل إلى أي نتائج، كانا أيضًا يشاهدان برنامج واجه الصحافة، ويستمعان إلى السباق الخطابي في الكونغرس، واقتنعنا جميعًا أنَّ العراق كان أكثر جبهة ساخنة في مكافحة الإرهاب بعد أفغانستان وباكستان.

كان العراق في بؤرة اهتمامنا، فإذا كان البيت الأبيض مدفوعًا بمخطط سري لجر بلادنا إلى حرب مع العراق، فإنَّه لم يكن ليُبلِّغ واحدة مثلي كانت تقاتل بضراوة من أجل رفع المعنويات، ولا أعتقد أنَّ هوفين والدكتور فيوز كانا يعلمان بوجود هذا المخطط في ذلك الوقت.

هل عرفتم الآن العقبات التي كان عليَّ مواجهتها، ولم تكن لديَّ أي فكرة بشأنها؟ دعوني أُوضِّح هذا الأمر: في كل مرَّة كان فيها مسؤولو البيت الأبيض أو قادة الكونغرس يطالبون علنًا بتعاون العراق، كانوا في الحقيقة يخاطبون فريقي؛ لأنَّني كنت الوسيط السري المكلف بإنجاز تلك المهمة الخاصة.

لذا، نصحني الدكتور فيوز أن لا أنشغل بتحذيراتنا السابقة بخصوص هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وقال إنَّنا سنناقش هذه المسألة لاحقًا بعد إتمام مهمتنا، لم يقل لي متى سيحين الوقت المناسب لمناقشة ذلك، ولا أعتقد أنَّه كان يعرف حقًّا، لكنَّه اكتفى بالقول إنَّه لن يكون بحاجة إليَّ إذا ضعفت قواي وانهارت.

والواقع أنَّني لمست إشارات تدل على احتمال انهياري؛ إذ كانت تنتابني نوبات عرق شديدة، وكنت أستيقظ في الليل بسبب الكوابيس وأنا أرتجف، فأندس ثانيةً في فراشي المُبلَّل بالعرق البارد، كانت تلك أعراض إجهاد ما بعد الصدمة.

هل خاب ظنكم فيَّ؟ ولكن، مهلًا.

يمكن لكل إنسان تقديم المساعدة عندما تكون الأوضاع سهلةً وغيرَ معقدة؛ كل واحد من الزملاء والأصدقاء، الكل يتطوع للمساعدة، إنَّ وقوف الآخرين إلى جانبك حين تزداد الأمور سوءًا هو ما يميز الرجال من الصبيان.

مَن الذي يستسلم؟

مَن الذي سينهزم؟

لقد كنتم بحاجة إليَّ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكنت أُؤمن بأنَّ ما أقوم به نيابةً عنكم هو أكثر شيء أعتز به في حياتي؛ لأنَّني فعلت ذلك عندما أصبح الأمر أكثر صعوبةً بالنسبة إليَّ، ولأنَّني تماسكت بالرغم من ألمي وحزني، وتخلَّيت عن كل ما أملك.

لقد أنهكت نفسي، لكنَّني لم أستسلم أو أُهزم.

إنَّ ما يؤسفني حقًّا هو أنَّ أمريكا لم تساعدني.

عندما طلبت مخصصات لدعم مهمتي، قال لي الدكتور فيوز بالحرف الواحد: «لا تسألي عما يستطيع الوطن أن يعطيك إياه، ولكن اسألي عما يمكن أن تُقدِّميه للوطن، عليك أن لا تطلبي شيئًا».

وقد ردد هوفين هذه الكلمات نفسها بطريقة أكثر بشاعةً وقبحًا عندما قال لي: «سوزان، لقد قال الرئيس بوش: إما أن تكوني معنا، وإما أن تكوني ضدنا، من الأفضل لك أن تباشري العمل، وتتوقفي عن طلب نقود من صديقي»، وهكذا واصلت العمل.

في شهر نوفمبر تسلَّم الدكتور فيوز مبلغ (13) مليون دولار من المخصصات الطارئة لتحقيقات الحادي عشر من سبتمبر، ومع اعتقادي أنَّ هذه الأموال كانت لدعم عملياتنا

الميدانيـة، فـإنَّ الدكتـور فيـوز عَدَّها تعويضًـا ماليًّا خاصًّا به، وعندما توسَّـلت إليـه إعطائي أي شيء؛ لأتمكن من الوفاء بمتطلباتي المالية، رفض الدكتور فيوز ذلك بشدة، وقد علمت فيما بعدُ أنَّـه بـدأ يبني بيتًا في فرجينيا بداية ذلك العام، وادَّعى أنَّ أحد المهندسـين سـرق ثلاثة ملايين دولار مـن ميزانيـة المشـروع البالغة ثمانية ملايـين دولار؛ ما جعله يتوقف عن بنـاء بيته الفخم طوال الصيف.

ولأنَّني كنت أستمع إلى مكالماته الهاتفية في أثناء زياراتي إلى مكتبه؛ أدركت أنَّه لا يستطيع جمع مزيد من النقود لإكمال بناء البيت.

وفجأةً، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، انتعش الدكتور فيوز مرَّةً أخرى، ولما أعربت لـه عـن ارتياحي لتوافر الأموال قال لي صراحةً إنَّ الثلاثة عشـر مليون دولار (من أموال مكتب التحقيقـات الفيـدرالي بكل تأكيد) قد منحت عائلته فرصـة إعادة البناء من جديد، ثم تحدث عن شراء قطعة أرض لبناء بيت عليها، وقال إنَّ هذا البيت سيكون أكثر تميُّزًا من البيت الأول؛ لأنَّ بحوزته الآن (13) مليون دولار سينفقها على بنائه.

وفي الأحوال كلها، فأنا لم آخذ منه شيئًا.

وهكذا، فقد رفض طلبي بخصوص المال اللازم لضمان تعاون العراق مع تحقيقات الحادي عشـر مـن سـبتمبر، فهل كان ريتشـارد فيـوز يعمل فقط بدافـع الجشـع أم أنَّ أحدهم في البيت الأبيض قد بيَّت النية لإفشال مشروعنا؟ أو: هل توقع ريتشارد سياسة الحرب المقبلة، واستنتج أنَّ البيت الأبيض سيكون مسرورًا إذا استُثمرت تلك الأموال الحكومية في أي مكان آخر ماعدا ضمان تعاون العراق مع تحقيقات الحادي عشر من سبتمبر؟

على كلٍّ، لم يكن أحد في البيت الأبيض أو وكالة الاسـتخبارات الأمريكية يعارض اسـتخدام تلك الأموال في بناء بيته الفخم في فرجينيا.

ربمـا يكـون كبـار المسـؤولين قـد توقعـوا أنَّني سأنسـحب بسـبب انعـدام التمويـل، إذا كانوا يعتقـدون ذلـك فإنَّهـم لم يعرفوا فريقنا جيدًا، لقد قبلنا التحـدي والعمل في الظروف والأحوال كلها. وكان الدكتور فيوز قد أعطاني شـيكًا شـخصيًّا قيمته (2500) دولار في شـهر أكتوبر؛ ما مكَّنني من مواصلة العمل، كان يجب إكمال المهمة، والتحقُّق من ذلك بطريقة صحيحة، لم أكن

من النوع الذي يقبل الهزيمة، وكذلك فريقي. أما إذا كان أعضاء الكونغرس ليسوا كما يدَّعون، فهذا شأنهم ولا علاقة لنا به.

ليس غريبًا أن أُواجِه شخصيًّا متاعب ومشكلات عدَّة بسبب نقص التمويل، كان عليَّ أن أعيش على الكفاف؛ لقد تعطَّل نظام التدفئة في بيتي في ذلك الشتاء مدَّة عشرة أيام؛ من عشية عيد الميلاد إلى بداية السنة الجديدة، وكان الدكتور فيوز قد أرسل إليَّ وجبة عشاء عيد الميلاد، لكنَّه لم يُكرِّر ذلك، وأخذت أوضاعي المعيشية تزداد سوءًا.

كلما تذكَّرت تلك الأيام شعرت برعشة ورجفان، فينفطر قلبي، لقد رجوت الدكتور فيوز لأشهر أن يتوسَّط لي من أجل استلام مكافأتي المالية لقاء عملي في قضية لوكيربي، والمدمرة يو إس إس كول، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، لقد كان من حقي الحصول على هذه المكافأة.

إنَّ عدم الوفاء بتلك الوعود يرقى إلى مستوى الاحتيال الإداري؛ إنَّه خيانة لوعود قادة الكونغرس بدعم الوسطاء السريين في مكافحة الإرهاب كما كانوا يتبجَّحون على شاشات التلفزة.

حدث هذا كله في الوقت الذي ارتفعت فيه الميزانيات السرية إلى (85) مليون دولار سنويًّا، كانت كلها من جيوب دافعي الضرائب (معلمين، أطباء، عمال إنشاءات، مُزارعين) الذين يعانون من أجل تأمين قوتهم اليومي، وقد كانت هذه الميزانيات تُصرَف من دون رقابة أو مساءلة بعدما تخلى الكونغرس عن تدقيقها؛ لذلك لم يعرف أحد إذا كانت هذه المخصصات تذهب إلى العمليات الميدانية، أو إلى حسابات مصرفية خاصة؛ ما يؤدي إلى سرقة بلايين الدولارات.

كان هذا الفشل في توفير التمويل للوسطاء السريين مثلي العاملين في مجال مكافحة الإرهاب، يُعَد إهمالًا إداريًّا ذريعًا، فمن المعروف وجود تقليد متبع في الأنظمة العسكرية يقضي بتحمُّل القيادة مسؤولية توفير المتطلبات الأساسية للعاملين في الميدان؛ لإنجاح مهمتهم، وقد فشلوا في ذلك في هذه الحالة؛ ما جعلني أعاني كثيرًا نتيجة لذلك.

يحدث ذلك كله بسبب غياب الرقابة على صرف المخصصات، ودفع الهبات لأصحاب مكاتب الاستشارات الأمنية المزيفين الذين يأخذونها بأكفٍّ مفتوحة، وهم - بالرغم من ذلك- غير ملزمين بتقديم أي خدمات للحكومة لقاء هذه الهبات، أو حتى إعادة الأموال إذا استُثمرت في مصالح خاصة، وكان هذا من حُسن طالع أصحاب الدكاكين الصغيرة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة.

وتأسيسًا على ذلك، فقد كان مستحيلًا - بالنسبة إليَّ- أن أظل مستمعةً إلى قادة الكونغرس وهم يتبجَّحون بدعمهم للوسطاء السريين وعمليات مكافحة الإرهاب، من دون أن أشعر بغضب شديد، يجب على هؤلاء القادة أن يصمتوا إلى أن يحين الوقت لضبط ميزانيات الاستخبارات.

كان عليَّ - بعد الحادي عشر من سبتمبر- أن أدفع ثمن مشتريات البقالة والرهن وفواتير الخدمات مثل أي أمريكي آخر، لكنَّني شددت حزامي، وواصلت العمل، فكنت بعد الحادي عشر من سبتمبر أذهب مرَّتين في الشهر إلى نيويورك للاجتماع بالدبلوماسيين العراقيين والليبيين، كنت أسعى جاهدة للحصول على تعاون العراق، وكان الجواسيس لا يتوقفون عن ملاحقتي.

وفي مرحلة لاحقة، حين اتهموني بأنَّني (عميلة عراقية)، وددت لو أنَّني أستطيع الذهاب إلى المحكمة مرتديةً قميصًا مكتوبًا عليه: «لقد حذَّرت من هجمات الحادي عشر من سبتمبر»؛ لأُبيّن للجميع أنَّ مكافأتي على ذلك كانت قميص هذه الفضيحة، أليس كذلك؟

والخلاصة هي أنَّ القادة الجمهوريين في الكونغرس اعتلوا منصة الإعلام بعد الحادي عشر من سبتمبر، مطلقين وعودًا لم يفوا بها، ونسوها حالما أداروا ظهورهم لـ (كاميرات) التلفاز، وكانت نتيجة خداعهم المعاناة الكبيرة للوسطاء السريين مثلي.

بعد اتهامي أصبح توتري النفسي موضوعًا لخلاف حاد، وكان العملاء السريون يبحثون عن أي مُبرر لرفض طلبي التقدم إلى المحاكمة؛ بغية منعي من كشف المعلومات السرية الخاصة بالمرحلة السابقة للحرب، والتحذيرات من هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وقد استغلوا ضعفي الشديد ونوبات خوفي لإرجاء تنفيذ الحكم، وساعدهم على ذلك تواطؤ وزارة العدل، وامتناع الكونغرس عن إجراء أي تحقيق لتحديد تاريخ عملي في الوساطة السرية، كانوا كلهم متفقين على عدم كشف حقيقة ما حدث في العراق، أو تفاصيل هجمات الحادي عشر من

سبتمبر، وقد أدى اتهامي بالعمالة للعراق إلى تجرؤ العديد من الناس عليَّ، واختلاقهم الكثير من القصص والأكاذيب بشأني.

لذلك، فمن المهم معرفة ما حدث فعلًا في الاثني عشر شهرًا التي أعقبت هجمات الحادي عشر من سبتمبر. لقد أصبح واضحًا أنَّ حالتي العاطفية ليست كما حاولوا تصويرها، وهنا علينا أن لا نخلط بين الإرهاق المزمن والاكتئاب؛ لأنَّهما مختلفان تمامًا، لقد عانيت القلق والتوتر اللذينِ عزوتهما إلى خيبة الأمل الكبيرة من فشل فريقي في وقف هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ومع ذلك بقيت أشعر بدافعية لمواصلة عملي، كنت قلقة على مستقبلي، لكنَّني توقعت أنَّ أي فشل لن يستمر طويلًا، وسعيت طوال تلك الأشهر إلى طلب التمويل من الدكتور فيوز.

أعتقد أنَّ الإرهاق المزمن يعني تعرُّض جسدك للتعب والإعياء الشديدين، والسهر طوال الوقت؛ لأنَّك تظل تُفكِّر في ما يجب فعله، أنت تعرف حقًّا أنَّه لا بُدَّ أن تنام، لكنَّك لا تستطيع، فتشعر بألم شديد، لا أتمنى لك المرور بهذه التجربة السيئة، التي تحدث - كما أعتقد- عندما تجتاح جسدك طاقة عالية رغمًا عنك، ولا يحظى الجسد بفرصة للتعافي، أو العودة إلى دورته الطبيعية.

والحقيقة أنَّ إرهاقي المزمن كان نتيجةً لتزاحم العمل الشاق وتراكمه، لقد اعتدت أن أواجه متاعب مهنتي، وكنت أشعر بالرضا بالرغم من ذلك، لقد عشت حياتي بالطريقة التي اخترتها، وتابعت المشروعات التي أحببتها، ولم يجبرني الدكتور فيوز قط على تقديم المساعدة، لقد كان فريقنا متماسكًا، وأردت الحفاظ عليه كذلك بالرغم من نقص التمويل، وحتى هذه المرحلة كنت أعيش أفضل حياة ممكنة، قدَّمت في أثنائها تضحيات عدَّة، ولكنَّني أعتقد أنَّها تستحق العناء.

وبقيت أعمل بالرغم من التعب الذي كنت أحس به، وما كان ينقصني هو قضاء إجازة في جزيرة استوائية؛ لأحظى بشيء من الراحة والاسترخاء وركوب الخيل.

لكنَّ هذا لم يحدث ألبتة؛ إذ تعيَّن عليَّ مواصلة حياتي العملية من دون توقف؛ فبعد عودتي من بغداد عملت سكرتيرة صحفية لعضو الكونغرس السيدة زوي لوفغرين، من الحزب الديمقراطي من مدينة سان خوسيه في كاليفورنيا، وكان ذلك غلطةً وخطأً لا يُغتفران.

يوجد قانون ينص على التزام الصمت بين موظفي الكونغرس السابقين، ويكفي أن نقول إنَّ لجان العمل السياسي في واشنطن أبقت لوفغرين في منصبها، بصرف النظر عما يحدث في مدينة سان خوسيه، وظلت تسعى جاهدةً للاحتفاظ بمقعدها في الكونغرس.

يُذكَر أنَّ لوفغرين كانت قد حصلت على ترقية حين أصبحت رئيسًا للجنة الأخلاق في المجلس، علمًا بأنَّني أذكر أنَّها اختبأت في مكتبها تهرُّبًا من مقابلة صحفي كان بانتظارها؛ لتتمكن من الذهاب لتغيير زيت سيارتها.

شخصيًّا، لم أكن أطيق مشاهدة مثل هذا السلوك من ممثلي الشعب، وقد أضعت ثمانية أسابيع وأنا أجلس في مكتبها من دون ممارسة أي عمل؛ لأنَّها كانت ترفض استقبال الصحفيين. صحيح أنَّني كنت بحاجة شديدة إلى الراحة، إلا أنَّني كنت أتوق إلى التخلص من هذا القيد، والعودة إلى العمل مرَّةً أخرى.

سنحت لي الفرصة عندما أخبرتني صديقة قديمة تعمل في محطة فوكس نيوز، اسمها ريتا كوسبي، أنَّ دبلوماسيين عراقيين أبلغوها بأنَّ لديهم وثائق تُثبِت تورط جهات شرق أوسطية في تفجير مدينة أوكلاهوما، والهجوم على مركز التجارة العالمي عام 1993م، كنت على قناعة بأنَّ تلك الوثائق تتعلق بالحسابات المصرفية لرمزي يوسف، فصمَّمت على الوصول إلى هذه الوثائق، وعندما حدث خلاف حاد في مكتب لوفغرين استطعت إنقاذ نفسي من قبضتها الأنانية خلال ساعة، لم أكن الوحيدة التي هربت من مكتبها، فقد سبقني إلى هذه الوظيفة في السنة الماضية أربعة موظفين، لم يستطيعوا الاستمرار معها فهربوا، وهذا يُنبِئ بالكثير عن معادن أعضاء الكونغرس.

لقد كنت سعيدةً بمغادرة ذلك المكان، كان أمامي عمل حقيقي لأقوم به، وكان العمل يجعلني أشعر براحة كبيرة.